وقد يكون الغموض أو الاضطراب راجعًا إلى جهل الشاعر ببعض المعارف التي تلزمه إذا ما تعرض لموضوع بعينه ، يحتاج إلى ثقافة وخبرة ، ومن ذلك قول رُؤْبَة :

كُنْتُمْ كَمَنْ أَدْخَلَ في جُحْرٍ يَدا فَأَخْطَأَ الأَفْعى وَلاقَى الأَسْوَدا

فجعل الأفعى دون الأسود ، وهي أشد نكاية منه . وقول زهير :

كأَحْمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرْضَعْ فَتَفْطِمِ

وإنما هي أحمر ثمود . وافتقاد الخبرة والمعرفة يؤدي إلى مثل ذلك أيضًا كقول ليلى :

لَمّا تَخايَلت الحُمولُ حَسِبْتُها دَوْمًا بِأَيلة ناعِمًا مَكْمومًا

« والدوم لا أكمام له . وهذا ما يعرفونه صباحًا ومساء ، ويمارسونه على طول الدهر . »[1]

ولا شك في أن دقة الشاعر في استخدام اللفظة ارتبطت إلى حد كبير بموضوع (الإبانة) ، وهي سمة لقيت اهتمامًا شديداً من معظم النقاد ، وكانت خاصية (الإبانة) وسيلة نقدية لإصدار الأحكام في ضوء خِبْرتهم الثَّقافية التي استمدت قيمها من العُرْف أحيانًا ، والحِسّ اللغويّ أحيانًا أخرى ، ثم فساد التصرُّف أحيانًا ثالثة . ويبدو أن المجال الثقافي – آنذاك – قد وفَّر مجالا خِصبًا يرتاده النقادُ تطبيقيا فأفرز تحديداً لمصطلح (الإبانة) من حيث اتصاله بالكلمة المفردة ، وهو تحديد يرتبط في بعض جوانبه بانطباعات ذاتية لا تصل إلى التجرُّد الموضوعي الذي يمكن أن نلحظَهُ في

(١) القاضي الجرجاني : الوساطة ، ص ١٣ .